



مجلّة الضاد



مجلة عربية لغوية أدبية ثقافية
تصدر عن

شعبة اللغة العربية

قسم اللغات واللسانيات

جامعة ولاية نصر اوا كيفي

ADDAD

Journal of Arabic Language, Literature & Culture

VOLUME 2 No. 2, 2013

Published by:

ARABIC UNIT

DEPARTMENT OF LANGUAGES AND LINGUISTICS

NASARAWA STATE UNIVERSITY, KEFFI

الضاد

مجلة عربية لغوية ثقافية

(العدد الثاني المجلد الثاني)

2013م

تصدر عن

شعبة اللغة العربية

قسم اللغات واللسانيات

جامعة ولاية نصراوا، كوفي، ولاية نصراوا

ISSN: 4009-1213

من ملامح النقد الأدبي في كتاب "الصناعتين" لأبي هلال العسكري:

إعداد/

د. خليل الله محمد عثمان بؤدوفو

المقدمة:

النقد الأدبي صنعة فنية رفيعة يمارسها أهل الذوق الرفيع، وذوو الأدب المرفه، تخرج المكتبات العربية وغير العربية قديمها وحديثها بعدد كبير من الكتب التي ألفت في هذا الموضوع، ومن مشاهير القدماء الذين ألفوا في هذا الفن: أبو هلال العسكري الذي حازت اتجاهاته الفنية في مؤلفاته الكثيرة اهتمام الباحثين والدارسين. ولقد تنوعت مواقف النقدية في كتابه: الصناعتين تبعاً لأحوال القرن الرابع الهجري الذي نشأ فيه، والعلوم التي أخذها، ولم تكن تلك المواقف عبثاً، وإنما كانت نفيسة غاية النفاسة تستحق البحث والدراسة. وفي هذه الورقة نسلط ضوءاً على ثلاثة من الجوانب النقدية التي تعرض لها أبو هلال العسكري في أعماله الأدبية، وهي جانب بناء العمل الأدبي، وصناعة الشعر، والسرقات الأدبية. ونربط آرائه بآراء بعض النقاد القدماء والمحدثين، نأخذ من ذلك ما يكون منفعاً للدارسين المعاصرين وللدارسين النيجيريين على وجه الخصوص، والله ولي التوفيق.

أبو هلال العسكري

أ. حياته ومؤلفاته:

هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ولد في بلدة من بلاد الأهواز، يقال لها بالفارسية (لشكرة مكرم) وبالعربية عسكر مكرم، فنسب إليها. له مؤلفات كثيرة تبلغ نحو 25 كتاباً في اللغة والأدب والتفسير، بين كتاب كبير رسالة صغيرة، طبع منها كتاب: الصناعتين في النظم والنثر، وجمهرة الأمثال، وديوان اللطفي والأوائل، والتلخيص في معرفة أسماء الأشياء وغيرها². ومن كتبه التي ذكرها الدكتور مفيد قميحة، كتاب معاني الأدب، وكتاب من احتكم من الخلفاء إلى القضاة، وكتاب التبصيرة، وكتاب شرح الحماسة، وكتاب مفاخرة الدرهم والدينار، وكتاب الحسن في تفسير القرآن، وكتاب أعلام المعاني في معاني الشعر، وكتاب الفرق بين

المعاني، وكتاب نوادر الواحد والجمع، وكتاب تصحيح الوجوه والنظائر، وكتاب ديوان الشعر³. يبدو أن أبا هلال كان علماً من أعلام البلاغة والأدب والنقد في القرن الرابع الهجري تتلمذ على أيدي فطاحل العلم وعباقرة الأدب في عصره، ومن مشاهيرهم خاله أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد صاحب كتاب "التصحيح والتحريف" الذي ينقل عنه كثيراً من شتى الروايات في الأدب والبيان⁴. وقد عرف القدماء فضل أبي هلال وشهدوا له بالعلم والزهد، وفي ذلك يقول أبو طاهر السلفي: سألت الرئيس أبا المظفر محمد بن أبي العباسي الأبيوردي رحمه الله تعالى بهمذان عنه فأثنى عليه، ووصفه بالعلم والفقه معاً، وقال يتبرز احتزازاً من الطمع والدناءة والتبذل⁵. وفي عام 395هـ الموافق 1005م انتقل أبو هلال إلى رحمة ربه⁶.

ب: أدبه:

أثرت في حياة أبي هلال ثقافة عصره، واتصاله برجال الفكر والأدب والسياسية أمثال صاحب بن عباد الوزير، وقد قنع أبو هلال بصداقته، وكان من مؤيدي مذهب صاحب الفكري والأدبي. ولهذا ساء رأيه في أبي الطيب المتنبي الشاعر، وقد عرض بدمه في مواضع كثيرة من كتابه الصناعتين... وهذا أبو هلال يستشهد بأدب صاحب كلما عن له موضع استشهاد، ويذكره حيناً بالصاحب، وحيناً بكافي الكفاة وحيناً بالأستاذ، وله قصائد كثيرة في مدحه، وتراه يمدح البحري باختيار القوافي المناسبة لموضوع القصيدة كما مدحه بذلك صاحب من قبل⁷. ولأدب أبي هلال أثر عميق بالمدنية والعمران والترف العقلي، وهو أدب يتميز بالتعبير العاطفي والخيالي، ويفيض شعره بكثير من المعاني الملائمة والألفاظ المناسبة، ومما يدل على ذلك، قوله:

1- قد تعاطاك شباب ** وتغشاك مشيب

فأتى ما ليس يمضى ** ومضى ما لا يؤوب

لا تـوهمه بعيداً ** إنما الآتى قريب⁸

ومنه قوله في شكوى فقره:

جلوسي في السوق أبيع وأشتري ** دليل على أن الأنام قرود

ولا خير في قوم تذلل كرامهم ** ويعظم فهم نذلهم ويسود

وتهجوه عنى رثاءة كسوتي ** هجاءاً قبيحاً ما عليه مزيد⁹

ومنه قوله في تفضيل الشتاء على غيره من الأزمنة:

فترت صبوتي وأقصر شجوى ** وأتاني السرور من كل نحو
 إن روح الشتاء خلص روعي ** من حرور تشوى الوجوه وتكوى
 برد الماء والهواء كأن قد ** سرق البرد من جوانح خلو
 ريحه تلمس الصدور فتشفي ** وغما مائه تصوب فتروى
 لست أنسى منه دماءة دجن ** ثم من بعده نضارة صحو
 وجنوبا تبشر الأرض بالقط ** ركما بشر العليل ببـرو
 كلما أرخت السماء عراها ** جمع القطرين سفلى وعلو
 وهي تعطيك حين هبت شمالا ** برد ماء فيها ورقة جـو
 وترى الأرض في ملاءة ثلج ** مثل ريط لبسته فوق فرو¹⁰

2- وأما نثره فهو ينقسم إلى الاثنين: العلمي والأدبي

وأما نموذج للنثر العلمي فهو فيما يأتي:

إنني ما رأيت في الفرق بين هذه المعاني وأشباهاها كتابا يكفي الطالب ويقنع
 الراغب، مع كثرة منافعه، فيما يؤدي إلى المعرفة بوجوه الكلام، والوقوف
 على حقائق معانيه، والوصول إلى الغرض فيه، فعملت كتابي هذا
 مشتملا على ما تقع الكفاية به، من غير إطالة ولا تقصير، وجعلت كلامي
 فيه على ما يعرض منه في كتاب الله، وما يجري في ألفاظ الفقهاء
 والمتكلمين، وسائر محاورات الناس، وتركت الغريب الذي يقل تداوله
 ليكون الكتاب قصدا بين العالي والمنحط وخير الأمور أوسطها¹¹.

وإليك نموذج للنثر الأدبي فيما يأتي:

إن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة، وأخل بمعرفة الفصاحة، لم يقع علمه
 بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف، وبراعة التركيب،
 وما شحنه به من الإيجاز البديع، والإختصار اللطيف، وضمنه من الحلاوة،
 وجلله من رونق الطلاوة، مع سهولة كلمة وجزالتها وعذوبتها وسلاستها، إلى
 غير ذلك، من محاسنة التي عجز الخلق عنها، وتحيرت عقولهم فيها، وإنما
 يعرف إعجازه من جهة عجز العرب عنه، وقصورهم عن بلوغ غايتهم، في
 حسنه وبراعته وسلاسته وفصاعته، وكمال معانيه، وصفاء ألفاظه، وقبيح

لعمري بالفقيه المؤتم به، والقارئ المهتدى بهديه، والمتكلم المشار إليه في حسن مناظرته، وتمام آله في مجادلته، وشده شكيمته في حجاجه وبالعربي الصليب والقرشي الصريح أن لا يعرف إعجاز كتاب الله تعالى إلا من الجهة التي يعرفه منها الزنجي والنبطي وأن يستدل عليه بما استدل به الجاهل الغبي¹².

من خلال نثره العلمي نجد أن في أسلوبه دقة الفكرة، وجمال الأداء، وترف التعبير، وطلاقة البيان. وأما نثره الأدبي فإن أسلوبه فيه يحتوى على قوة العاطفة التي تؤثر في عباراته تأثيراً واضحاً يبدو في الكلمات والصور والتراكيب مع امتزاج ذلك كله بالأفكار القيمة والحقائق المبتكرة.

2: كتاب الصناعتين ومنهج أبي هلال العسكري فيه:

في عام 394هـ انتهى أبو هلال العسكري من تأليف كتاب "الصناعتين" يريد بذلك الكتابة والشعر، وجعله في عشرة أبواب:

الأول: حول البلاغة وحدودها وما جاء فيها من أقوال العلماء والأدباء السابقين له.

الثاني: حول تمييز الجيد من الردي في الكلام والمحمود من المذموم.

الثالث: حول معرفة صنعة الكلام وترتيب الألفاظ.

الرابع: حول حسن النظم وجودة الرصف.

الخامس: حول الإيجاز والإطناب.

السادس: حول السرقات الأدبية.

الثامن: حول التشبيه وأقسامه.

التاسع: حول السجع والازدواج وأضرابهما.

العاشر: حول حسن المبادئ والمقاطع وجودة القوافي ودقة الخروج من النسيب إلى المديح¹³.

اعتمد أبو هلال في هذا الكتاب على ما قاله سابقوه في الأدب والبلاغة والنقد، وأورد آراء كثيرة وروايات مختلفة كما قرأها أو سمعها من أمثال الجاحظ، وابن المعتز، والباقلاني، والرماني، وقدامة بن جعفر، وخاله أبي أحمد العسكري ونحوهم وأبدى بعد ذلك آرائه وشخصيته الفنية في كل موضوع، ولا شك أن الجاحظ هو أكثر الأدباء الذين تأثر بهم في هذا الصدد ولذلك يقول:

وقفت على موقع هذا العلم من الفضل، ومكانه من الشرف والنبيل، ووجدت الحاجة إليه ماسة، والكتب المصنفة فيه قليلة، وكان أكبرها وأشهرها كتاب: البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، وهو لعمري كثير الفوائد، جم المناقع، إلا أن الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيفه، ومنثورة في أثنائه، فهي ضالة بين الأمثلة، لا توجد إلا بالتأمل الطويل والتصفح الكثير، فرأيت أن أعمل كتابي مشتملا على جميع ما يحتاج إليه في صنعة الكلام نثره ونظمه، ويستعمل في مخلوله ومعقوده من تقصير وإخلال¹⁴.

يظهر هنا أن أبا هلال العسكري يخصص هذا الكتاب للبلاغة العربية وينوه بعلمها، ويرى أنها ضروريّ بفهم إعجاز القرآن الكريم وفي ذلك كشف النقاب عن صور البيان والبدیع التي سجلها البلاغيون الأدباء مبتعدًا في ذلك عن المتكلمين ولهذا قال شوقي ضيف: لم يؤلف كتابه على طريقة المتكلمين، وإنما ألفه على طريقة صناع الكلام من الشعراء والكتّاب، ولعله يريد كثرة ما ساقه من الأمثلة والشواهد، على طريقة ابن المعتز، فقد مضى مثله يكثر من الأمثلة والنصوص من القرآن والحديث وكلام الصحابة والعرب وأشعار المتقدمين والمحدثين¹⁵ ولمكانة يتبوأها هذا الكتاب في قلوب العلماء أخذ بعضهم يقول:

وأحسن ما قرأت على كتاب ** بخط العسكري أبي هلال

فلو أني جعلت أمير جيش ** لما قاتلت إلا بالسؤال

فإن الناس ينهزمون منه ** وقد ثبتوا لأطراف العوالي¹⁶

3: صور من الجوانب النقدية

أ: بناء العمل الأدبي

أشار أبو هلال العسكري في عدة مواضع إلى وحدة بناء العمل الأدبي، وأدرك أن هذه الوحدة لا تتم إلا بترباط أجزاء الكلام وتماسك أعضائه وقال:

أن توضع الألفاظ في مواضعها وتمكن في أماكنها، ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير، والحذف والزيادة، إلا حذفاً لا يفسد الكلام، ولا يعنى المعنى¹⁷.

من خلال هذه العبارة نلمس أن العمل الأدبي يحتاج إلى التناسق المنتظم الذي يؤتي جميع أعضاء الكلام ما يليق به. وفي هذا الموضوع نفسه جذب الذين أتوا قبل أبي هلال أطراف النقاش. فلننظر إلى الجاحظ عندما يسرد الكلام حول ألفاظ الشاعر حيث يذهب إلى أن العمل الأدبي لا بد أن يحقق قدرًا من التوافق والتواءم وقال:

وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغا واحدًا، وسبك سبكاً واحدًا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان¹⁸.

على مثل هذه الفكرة بنى أبو هلال العسكري نظريته الفنية، وذهب إلى أن النمط الذي ينبغي أن يسير عليه العمل الأدبي يحتوي على الألفاظ الجيدة والمعاني الحسنة، واستشهد في ذلك برأي العتابي الذي يقول بأن الألفاظ أجساد، والمعاني أرواح، تراها بعيون القلوب، فإذا قدمت منها مؤخرًا أو أخرت منها مقدما أفست الصورة، وغيّرت المعنى، كما لو حول رأس إلى موضع يد، أو يد إلى موضع رجل لتحولت الخلقة وتغيّرت الحلة ومن الصواب أن نقول إن فكرة بناء العمل الأدبي عند أبي هلال توضع موضوع الكلام وشكله، وتؤكد الحدود والمميزات التي تحيط به وتجعل الكلام ككائن حيّ منتظم الأعضاء ومناسق الأجزاء، وليس بخاف في هذا الموضوع أن أبا هلال يوافق رأي العتابي في تشبيه المعاني بالأرواح ولكن أبا هلال يدعو في موضوع بناء العمل الأدبي إلى اختيار أنسب الألفاظ لأنسب المعاني وفي ذلك يقول:

ينبغي أن تجعل كلامك مشتبهًا أوله بآخره، ومطابقاً هاديه لعجزه، ولا تتخالف أطرافه، ولا تتنافر، وتكون الكلمة منه موضوعة مع أختها، ومقرونة بلفقها، فإن تنافر الألفاظ من أكثر عيوب الكلام ولا يكون ما بين ذلك حشويستغنى عنه، ويتم الكلام دونه¹⁹.

يحاول أبو هلال العسكري في هذا الصدد أن يركز على ما ينبغي على الأديب أو الشاعر أن يتجنب عنه، وأشار إلى بعض ما ينفر منه الذوق ويأباه الطبع السليم من أمثال حوشى الألفاظ وسوقيتهما، وقبيح الأسماء والألقاب وغير ذلك²⁰ وإننا مع هذا نرى

أن أبا هلال يستمد رأياً آخر من الجاحظ ويؤثر الألفاظ على المعاني حسب صنعة الجاحظ وذلك في رؤية حول العمل الأدبي الجيد وقال:

يحسن بسلاسته وسهولته ونصاعته، وتخير لفظه، وإصابة معناه، وجودة مطالعه، ولين مقاطعه، واستواء تقاسيمه، وتعادل أطرافه، وتشابه أعجازه بهواديته، وموافقة مآخيره لمباديته، مع قلة ضروراته، بل عدمها أصلاً، حتى لا يكون لها في الألفاظ أثر²¹.

ب: الشعر وصناعته

لاحظ أبو هلال العسكري كسابقه أن الشعر صناعة من الصناعات الفنية، وقد تكون هذه الصناعة في غاية الجودة والاكتمال إذا كان الصانع حاذقاً ماهراً، وقد تكون في غاية الرداءة إذا لم تكن للصانع تلك المهارة²² وأشار إلى أن الشعر أطول عمراً عند العرب، وأبقى دهرًا عندهم وأسرع انتشاراً في بيئتهم وقال:

"لا شيء أسبق إلى الأسماع وأوقع إلى القلوب، وأبقى على الليالي والأيام مثل مثلٍ سائر وشعر نادر"²³

أدرك أبو هلال قوة الشعر وتأثيره في عقول العرب وفنونهم وأحكامهم لأنه بمثابة مورد الشاهد اللغوي والنحوي والمورخ والمهتم بالغريب²⁴ وهذه الظاهرة هي التي تجعل بعض الشعراء العرب يهذبون شعرهم وينقحونه قبل أن يظهروه للناس، ليسلم ذلك الشعر من الألفاظ القبيحة والمعاني الرديئة، وهذا مما جعل النقاد أن يقولوا خير الشعر الحولى المنقح²⁵.

يرى أبو هلال في هذا الموضوع أن أصحاب الصنعة أو أهل الحوليات أمثال زهير بن سلمى والحطيئة هم القدوة الحسنة، إلا أنه يبدو أن أبا هلال من أولئك النقاد الذين يقولون بأنه ينبغي للشاعر أن يتناول المعنى وضده، وهذه الفكرة النقدية هي التي هيأت للنقاد المعاصرين، أن يدرسوا أوجه التأويلات في الشعر العربي القديم والحديث فلننظر إلى شوقي ضيف حيث قال:

ففى كلمات الشعر سحر، وفيها خفاء وفيها إيعاز وإيماء، وهذا كله يجعلها غير محددة الدلالة، بل يجعل دلالتها تقبل احتمالات كثيرة، فكل يتصورها حسب حالته الوجدانية، وحسب ما يستطيع أن يستنبط منها، وحسب ما تثيره أصدائها في نفسه،

وحسب ما تبعته فيه من عواطف ومشاعر، وكأنها نافذة يطل منها على أفق واسع من عالمه الداخلي، أو كأنها أداة من أدوات الإثارة²⁶.

لم يسلك أبو هلال العسكري في هذا الموضوع مسلك النقاد المحدثين، بل اكتفى بالإشارة إلى ما يتصف به بعض الأشعار، وما يتضمنه الشعر الجاهلي بالذات إذ قال في شأن الشعر.

أكثره قد بنى على الكذب والاستحالة من الصفات الممتنعة والنعوت الخارجة عن العادات والألفاظ الكاذبة من قذف المحصنات، وشهادة الزور، وقول الهتان، لاسيما الشعر الجاهلي النرى هو أقوى الشعر وأفعله²⁷.

فالشعر عند أبي هلال يوافق طبيعة النفس البشرية في عصر من العصور وينعكس ما كان عليه المجتمع في فترة من الزمان، فمثل هذه المقولة لا تنقض قيمة الشعر وفنيته، لأن الشعر عند العرب يحتوى على الكلام المحمود والمذموم، فليس من حق الناقد أن ينكر أى شعر بحجة أنه يحتوى على الكذب والهتان لأن الشعر عند النقاد لا توصف بكذب ولا بصدق وفي ذلك يقول شوقي ضيف:

ليس هناك واقع خارجي يلتمس منه الشعراء تصحيح أقوالهم، وبالتالي نلتمس منه نحن هذا التصحيح، فهم لا يرتبطون بشئ في العلم المحسوس، وهم لذلك لا توصف أبياتهم بصدق وبكذب، وقديما قال نقاد العرب: "أعذب الشعر أكذبه" لا يريدون الكذب بالمعنى الواقعي، وإنما يريدونه بالمعنى الخيالي الذي لا يخضع للمنطق ولا للواقع الحسى، فللشعراء واقعهم. وهو واقع نفسى، بخلاف العلم وعبارته فلا بد أن يجرى فيها المنطق ولا بد أن تكون صادقة فإذا قال قائل $4=2+2$ كان هذا تعبيراً رياضياً صادقاً، فإن قال $3=2+2$ هبّ في وجهه الناس وقالوا كذب وهتان، وفقد تعبيره قيمته، لأن قيمته يستمدّها من صدقه وقد فقد الصدق ففقد قيمته. وهذا لا يحدث في الشعر، فالشاعر يتخيل كما يشاء، يتخيل إلى حد الأسطورة والخرافة ولا يقول له أحد كذبت أو صدقت لأن من حقه أن يعبر عن خياله وشعوره حسب مشيئته الفنية²⁸.

ولعل أبا هلال مع استجادته لبعض أغراض الشعر وبعض المعاني فيه، فإن موقفه الفني يتعارض الكذب والإستحالة والفحشاء والمنكر، وهذا يدل على صلابته

الدينية وتأثره ببعض النقاد السابقين له، وقد ذهب قبله قدامة بن جعفر إلى أنه من عيوب المعنى: الإستحالة ومخالفة العرف، ونسبة الشيء إلى ما ليس له²⁹.

ومن هنا يتضح لنا جليا أن القدماء يجعلون مراعاة الأخلاق الطيبة نصب أعينهم عند دراساتهم الفنية ولهذا قسم بعضهم الكذب في العمل الأدبي إلى المباح وغير المباح. وأما بالنسبة إلى حسن المقاطع أو الإجادة في آخر أبيات القصيدة فقد يذهب أبو هلال إلى أنه ينبغي أن يكون آخر بيت قصيدتك أجود بيت فيها وأدخل في المعنى الذي قصدت له في نظمها³⁰.

وفي ذلك استشهد ببعض الأبيات التي يرى فيها الإجادة في المقاطع، وفي اعتذار ابن الزبير، إلى النبي ﷺ بقصيدته التي آخرها:

فخذه الفضيلة عن ذنوب قد خلت ** وأقبل تضرع مستضيف تائب

قال أبو الهلال: جمع في هذا البيت جميع ما يحتاج إليه في طلب العفو³¹

ولما قال تأبط شرا في آخر قصيدته:

لتقرعن على السن من ندم ** إذا تذكرت يوما بعض أخلاق

قال أبو هلال: هذا البيت أجود بيت فيها لصفاء لفظه، وحسن معناه³²

وعندما قال الشنفرى في آخر قصيدته:

وإني لحلو إن أريد حلاوتي ** ومر إذا نفس العزوف أمرت

أبي لما أبى قريب مقادتي ** إلى كل نفس تلتجى في مسرتي³³

وهذان البيتان أجود ما قرره من هذه القصيدة.

يرى أبو هلال العسكري أن أحسن الأبيات الشعرية ما جاء آخرها على نمط الأمثال السائرة، وأشار في ذلك إلى قول الهذلي:

عصاك الأقارب في أمرهم ** فزایل بأمرک أو خالط

ولا تسقطن سقوط النوا ** ة من كف مرتضخ لا قط

يقول أبو هلال بأن الشاعر قطعها على تشبيه مליح، ومثل حسن ... وهكذا يفعل

الكتاب الحذاق والمتوسلون المبرزون³⁴.

واشترط في جمال الشعر ألا تكون القافية مستدعاة لا تفيد معنى³⁵ وضرب المثل

في ذلك بأبيات مختلفة منها البيت الآتي:

أنشر البر فيمن ليس يعرفه ** وأنثر الدربين العى في الغلس

وقال أبو هلال في التعليق على هذا البيت.

ليس لذكر الغلس مع العمى معنى، لأن الأعشى يستوى عنده الغلس والهجرة، ولو قال العمش لكان أقرب من العمى على أن جميع لا خير فيه³⁶

ج: السرقات الأدبية

السرقات الأدبية من جملة الموضوعات التي تثيرها الباحثون القدماء والمحدثون. وكانت لهم آراء مختلفة حول سرقات أبي تمام والبحترى والمتنبى وسرقات البارودي وشوقي وحافظ إبراهيم والرصافي ونحوهم.

ولقد ألفت في هذا الموضوع كثير من المؤلفات القيمة قبل أن يؤلف فيه أبو هلال، إلا أن أبا هلال العسكري ابتكر فيه وصنف فيه تصنيفاً جيداً وقد استفاد مما قيل قبله في الوصول إلى رأي يتميز بالنضج والقبول³⁷ وفي اعترافه بذلك يقول:

لا أعلم أحداً ممن صنف في سرق الشعر، فمثل بين قول المبتدئ

وقول التالى، وبين فضل الأول على الآخر، والآخر على الأول غيرى،

وإنما كانت العلماء قبلى ينهون على مواضع السرقة فقط³⁸.

هذا مما يدل على أنه أبا هلال العسكري ليس بأول من كتب في باب السرقات الأدبية، بل سبقه إليه عدد كبير من الأدباء والنقاد. وإن كان جهده في هذا الموضوع أكثر تأثيراً من جهد غيره، ولذلك نود أنه يكون جانبى النظرية والتطبيقية محور هذا الصدد.

الأول - الجانب النظرى:

1- أراد أبو هلال أن يصحح خطأ وقع فيه من كان قبله من الأدباء والنقاد، لأن جمهرة من النقاد قالوا بأن من أخذ معنى بلفظه يسمى سارقاً، ومن أخذه ببعض لفظه يسمى سالخاً، ومن أخذه فكساه لفظاً من عنده أجود من لفظه كان هو أولى به ممن تقدمه. وفي ذلك وضع أبو هلال حداً فاصلاً عما ليس بالسرقة وقال:

إن ابتكار المعنى والسبق إليه ليس هو فضيلة يرجع إلى المعنى وإنما هو

فضيلة ترجع إلى الذى ابتكره وسبق إليه... فالمعنى الجيد جيد وإن

كان مسبوقاً إليه، والوسط وسط، والردى ردى. وإن لم يكونا مسبوقاً

إليهما. وقد أطبق المتقدمون والمتأخرون على تداول المعانى، بينهم

فليس على أحد فيه عيب إلا إذا أخذه بلفظه كله أو أخذه فأفسده
وقصر فيه عمن تقدمه.³⁹

2- ومما ذهب إليه أن بعض السارقين يخفون سرقتهم ويؤدى ذلك إلى زيادة في
المعنى أو نقصه، وهذا عيب، وفيه يقول:

أحد أسباب إخفاء السرقة أن يأخذ معنى من نظم فيورده في نثر،
أو من نثر فيورده في نظم، أو ينقل المعنى المستعمل في صفة خمر،
فيجعله في مديح، أو في مديح فينقله إلى وصف، إلا أنه لا يكمل
لهذا إلا المبرز والكامل المقدم.⁴⁰

3- يوضح القول في حسن الأخذ ويقول:

ليس لأحد من أصناف القائلين عنى عن تناول المعانى ممن تقدمهم،
والصب على قوالب من سبقهم ولكن عليهم إذا أخذوها أن يكسوها
ألفاظا من عندهم، ويبرزوها في معارض من تأليفهم ويوردوها في غير
حليتها الأولى ويزيدوها في حسن تأليفها وجودة تركيبها وكمال حليتها
ومعرضها فإذا فعلوا ذلك فهم أحق بها ممن سبق إليها.⁴¹

4- ومن أنواع السرقة عند أبي هلال أن تأخذ المعنى كله أو أكثره، وقال: "وقبح الأخذ
أن تعتمد إلى المعنى فتناوله بلفظه كله أو أكثره أو تخرجه في معرض مستهجن والمعنى إنما
يحسن بالكسوة".⁴²

5- والشعر المحلول عند أبي هلال العسكرى ينقسم إلى أربعة أضرب وهى:

أ- ضرب يكون بإدخال لفقة بين ألفاظ الشعر

ب- وضرب ينحل بتأخير لفظه منه وتقديم أخرى فيحسن محلوله ويسقيم

ج- وضرب منه ينحل على وجه الضرب الثانى ولا يحسن ولا يسقيم.

د- وضرب تكسو ما تحله من المعانى ألفاظا من عندك وهذا أرفع درجات.⁴³

الثانى :- الجانب التطبيقى

أن يأخذ الشاعر من الآخر لفظه كله أو أكثره كقول طرفة:

وقوفا بها صبحي عليّ مطيمهم ** يقول لا تهلك أسى وتجلد

أخذ هذا البيت من امرئ القيس الذي يقول:

وقوفا بها صبحي عليّ مطيمهم ** يقولون لا تهلك أسى وتجلد⁴⁴

قال غسان السليطي:

الآن لما أبيض مسـرـبـتي ** وعضضت من اجذامي

أخذ البيت من الحرث بن ويلة:

الآن لما أبيض مسـرـبـتي ** وعضضت من نابي على جذم⁴⁵

قال الفرزدق:

أترجوا ربيع أن تجي صغارها ** بخير وقد أعيأ ربيعاً كبارها

أخذ البيت من قول البعيث:

أترجوا كليب أن تجي حديثها ** بخير وقد أعيأ كليباً قديمها⁴⁶

* أن يأخذ الشاعر القول المشهور من الآخر من دون إخفاء ما أخذه، كقول وهب بن الحرث بن زهرة:

تبدوا كواكبه والشمس طالعة ** تجري على الكأس منه الصاب والمقر

أخذ النابغة من هذا البيت وقال:

تبدوا كواكب والشمس طالعة ** لا النور نور ولا الإظلام إظلام⁴⁷

قال رجل من أهل كندة في مدح عمرو بن هند:

هو الشمس وافت يوم دجن فافضلت ** على كل ضوء والملوك كواكب

فقال النابغة:

بأنك شمس والملوك كواكب ** إذا طلعت لم يبد منهن كوكب⁴⁸

* أن يأخذ الشاعر القول من الآخر وأخفى بما أخذه، كقول الأعشى،

وسبيئة مما تعتق بابل ** كدم الذبيح سلبتها جريالها

أخذ أبو نواس هذا البيت وستره حين قال:

أعطتك ريحانها العقار ** وحران من ليلك انفار⁴⁹

قال الحبال الربيعي:

أولئك إخوان الصفاء رزيتهم ** فما الكف إلا إصبع ثم إصبع

أخذ منه أبو تمام وأخفى ما أخذه، وقال:

جمعت عرى أعمالها بعد فرقة ** إليك كما ضم الأنابيب عامل⁵⁰

* أن ينقل الشاعر من معنى شعر إلى موضوع آخر كقول قيس بن الحطيم:

قضى الله حين صورها الـ ** خالق إلا تكنها السدف

قيل هذا البيت في الغزل فنقله الأعشى من ذلك إلى صفة الخمر وقال:

لا ينزل الليل حيث خلت ** فدهر شرابها نهار⁵¹

* أن يأخذ الشاعر معنى الآخر ويفسده كقول أبي نواس:

بأبي أنت من مليح بديع ** بذأ حسن الوجوه حسن قفاكا

من هذا البيت أخذ أبو كريمة وأفسد ما أخذ حيث قال:

قفاه وجه ثم وجه الذي ** قفاه وجه يشبه به البدر⁵²

أن يتفق الشاعران في الإساءة: كأبي نواسي الذي يقول:

كأنما أثنوا ولم يعلموا ** عليك عندي بالذي عابوا

أتى الشاعر في هذا البيت بالمعنى المرصوف المزدول، وبالنظم المردود ومن هذا البيت أخذ ابن أذينة وقال:

كأنما عايها دايبا ** زتها عندي بتزين⁵³

أني الشاعر في هذا البيت بعبارة غير مرضية ونسج على منوال غير حسن

ومن هذا الموضوع أن يستوى الأخذ والمأخوذ في الإجادة كالنابغة الذي يقول:

فإنك كالليل الذي هو مدركي ** وإن خلت أن المتأني عنك واسع

وأبو نواس الذي أخذ منه يقول:

لا ينزل الليل حيث حلت ** فدهر شرابها نهار

فقد أحسن الشاعران في اللفظ والمعنى⁵⁴

الخاتمة:

ينتهي النقد الأدبي عند أبي هلال العسكري في كتابه: الصناعتين إلى دائرة التفكيرين: البلاغي والأدبي، وكان ذوقه في النقد الأدبي لا يقل قدراً عن البلاغي، ولهذا ركزنا في هذه الورقة على وحدة بناء العمل الأدبي حيث سلطنا ضوءاً على ما أسهم به في الموضوع، وربطنا موقفه بموقف الآخرين من النقاد الذين سبقوه، وبعد ذلك، ناقشنا رأيه النقدي في صناعة الشعر، وأشرنا إلى آراء نقادنا المعاصرين، لنبرهن بأن رأي أبي هلال في صناعة الشعر مما يتطوره اليوم نقادنا. وأما في السرقات الأدبية فقد كان فيها لأبي هلال العسكري نصيب الأسد، ولهذا حاولنا أن ننظر إلى قضية السرقات من ناحيتي النظرية والتطبيق، ورأينا أن أبا هلال تمكن كثيراً في هذا الموضوع، واستطاع أن يميز بين

الحسن والقبح، وبلغ الغاية القصوى في ذلك، وإن كانت روح الموازنة لم تكن قوية في عمله هذا، ولا نبالغ إذا قلنا إن النقد الأدبي قطع شوطا كبيرا على أيدي أبي هلال العسكري وبمجهوداته استطاع بعض نقاد العصر الحديث أن ينيروا الطريق إلى النقد الأدبي القديم والحديث.

الهوامش والمراجع

- 1- محمد المصري: مناهج التأليف عند العرب، الجزء الأول، دار المنايرة، 1410هـ- 1990م جدة السعودية، ط1 ص135.
- 2- المرجع نفسه، ص7
- 3- أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، حققه وضبط نصه الدكتور مفيد قميحة، ط1 دار الكتب الحكومية بيروت لبنان عام 1401هـ 1981م ص7.
- 4- عبد المنعم الخفاجي: دراسات في النقد الأدبي، مكان الطبع وتاريخه غير مذكورين، ص322
- 5- أبو هلال العسكري: المرجع السابق ص5
- 6- محمد المصري: المرجع السابق ص135
- 7- عبد المنعم الخفاجي: المرجع السابق، ص322.
- 8- أبو هلال العسكري: المرجع السابق، ص5.
- 9- المرجع نفسه ص6
- 10- أبو هلال العسكري: المرجع السابق، ص8
- 11- محمد المصري: المرجع السابق، ص136
- 12- أبو هلال العسكري: المرجع السابق ص10
- 13- د. شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، الطبعة الثانية عزة، دار المعارف عام 2003م ص146.
- 14- عبد المنعم الخفاجي: المرجع السابق ص223.
- 15- شوقي صنيف: المرجع السابق، ص141
- 16- أبو هلال العسكري: المرجع السابق ص7
- 17- المرجع نفسه، ص151
- 18- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين الجزء الأول، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة 1969م، ص67.
- 19- المرجع نفسه، ص261
- 20- المرجع نفسه، ص260
- 21- المرجع نفسه، ص263
- 22- المرجع نفسه، ص301
- 23- المرجع نفسه، ص331
- 24- المرجع نفسه، ص342
- 25- المرجع نفسه، ص401
- 26- المرجع نفسه، ص521

- 27 المرجع نفسه، ص 532
- 28 شوقي ضيف: في النقد الأدبي، ط4، دار المعارف بمصر 1976م ص 133.
- 29 نقد الشعر: قدامة بن جعفر: ص 213
- 30 أبو هلال العسكري المرجع السابق، ص 503
- 31 المرجع نفسه والثغر- نسما
- 32 المرجع نفسه والصفحة نفسها
- 33 المرجع نفسه والصفحة
- 34 المرجع نفسه ص 504
- 35 المرجع نفسه ص 501
- 35 المرجع نفسه ص 511
- 37 مصادر الأدب والنقد، ص 80
- 38 أبو هلال العسكري: المرجع السابق ص 257
- 39 المرجع نفسه ص 218
- 40 المرجع نفسه، ص 219
- 41 المرجع نفسه، ص 217
- 42 المرجع نفسه، ص 249
- 43 المرجع نفسه ص 237
- 44 المرجع نفسه، ص 249
- 45 المرجع نفسه، ص 45
- 46 المرجع نفسه، والصفحة نفسها
- 47 المرجع نفسه، ص 218
- 48 المرجع نفسه، ص 219
- 49 المرجع نفسه، ص 219
- 50 المرجع نفسه، ص 220
- 51 المرجع نفسه، ص 219
- 52 المرجع نفسه، ص 251
- 53 المرجع نفسه، ص 255
- 54 المرجع نفسه، ص 256